خطبة ألقاها

الشيخ أ.د. سليمان بن سليم الله الرحيلي

أستاذ كرسي الفتوى بالجامعة الإسلامية والمدرس بالمسجد النبوي الشريف

يوم ٣ رجب ١٤٣٨ بمدينة دوسلدورف في ألمانيا

[الخطبة الأولى]

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيّئات أعمالنا، من يهد الله فلا مُضلّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدا عبده ورسوله.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران:١٠٢]

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء:١]

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١]

أمّا بعد: فإنّ أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشرّ الأمور محدثاتها، وكلّ محدثة بدعة، وكلّ بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة في النار، ثم يا عباد الله:

إن الله ﷻ بعث محمدًا ﷺ رحمةً للعالمين، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء:١٠٧]، كان النبي ﷺ رحمةً مُهداة ﷺ، وأكمل له الدين، وأتمّ عليه وبه النعمة، ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ۚ﴾ [المائدة:٣].

وفَهِمَ صحابةُ رسول الله ﷺ الدّينَ كما أمر به الله، وكما بيّنه رسول الله ﷺ، فملأوا الأرض عدلاً وإحسانًا، حتى أصبح غير المسلمين يُحبّون العَيش في ديار المسلمين.

واستمرّ الأمر على هذا الخير إلى أن ظهرت نابتَةٌ في المسلمين ظنّوا أنهم أَفْهَم لِدِين الله من صحابة رسول الله ﷺ، وأَغْيَر على دين الله من صحابة رسول الله ﷺ، فغيّروا وبدّلوا وأظهروا الفتن بين المسلمين.

إنهم -يا عباد الله- الخوارج، شرّ الخلق والخليقة، كانت نَبْتَتُهُم الأولى في زمن رسول الله ﷺ بالكلام، بالاعتراض على رسول الله ﷺ واتّهام أعدل خلق الله بأنّه لم يعدل، لكنّهم قوم يجهلون، ولأقدار أهل الفضل لا يعرفون.

ثم عَظُمَ شرّهم في زمن الخليفة الرّاشد عثمان بن عفّان -رضي الله عنه وأرضاه-، حتى آل الأمر إلى قتل هذا الخليفة الذي بشّره النبي ﷺ بالجنّة.

ثم استحكمت حَلَقَتُهُم، واجتمعت عِصابَتُهم، وقَوِيَت شَوكتهم في خلافة عليّ -رضي الله عنه وأرضاه-، فكانوا أول الفتن الكبرى اشتعالاً، وكان الخروج أوّل بدعة في الإسلام، فأشغلوا المسلمين وأظهروا التّقتيل الجائر، فكانوا شرًّا على أنفسهم وشرًّا على الناس، وصدق رسول الله ﷺ حيث قال فيهم: «شرّ الخلق والخليقة».

وهم -يا عباد الله- يخرجون في الأمّة في أوقات الفتن والفرقة وضعف العلم، فليسوا حُقبةً وانتهت، ولا قصّةً قد انقضت، يقول النبي ﷺ: «ينشأ نشءٌ يقرأون القرآن لا يُجاوِز تراقيَهم، كلّما خرج قرن قُطِع»، قال ابن عمر رضي الله عنهما: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كلّما خرج قرن قُطِع» أكثر من عشرين مرّة «حتى يخرج في عِراضهم الدّجّال».

وقد ظهر في زماننا هذا قرن منهم، فينبغي علينا -عباد الله- أن نَحْذَر منهم وأن نُحَذِّر منهم، وأن نُحَصِّن أبناءنا ونِساءَنا مِن شرّهم، فإنّ أهل قرنهم هذا يركّزون على الشباب والنساء في الأرض عامّة، وفي أوروبا خاصّة، حيث تعيشون يا عباد الله.

وقد كانت سنّة السلف أنهم إذا ظهر قرن من قرون الخوارج يُحَذِّرون منهم، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: فلمّا شاع في الأمة أمر الخوارج تكلّمت الصحابة فيهم، ورووا عن النبي ﷺ الأحاديث فيهم، وبيّنوا ما في القرآن من الرّدّ عليهم.

وممّا لا شك فيه -يا عباد الله- أنّ هؤلاء الخوارج المجرمين قد شوّهوا صورة المسلمين وجعلوا غير المسلمين يَظُنّون أنّ هذا الإجرام من الإسلام، فدِفاعًا عن الإسلام والمسلمين ينبغي بيان حالهم، وأنّهم فِرقة مُجرمة نشأت بين المسلمين، كسائر الفِرَق المجرمة التي تنشأ في كلّ البلدان، وفي مختلف الأديان، كما ينبغي بيان أنّ النبي ﷺ بيّن سوء حالهم، وحذّر من إجرامهم، وأمر بقتالهم، وحذّر من الانخداع بمظاهرهم وبإظهارهم العبادة، حيث قال النبي ﷺ: «يَخرُج من ضِئْضِئِ هذا أقوام يتلون كتاب الله رَطبًا لا يُجاوز حناجرَهم، يَمرُقون من الدّين كما يَمرُق السّهم من الرّميّة، لَإن أدركتهم لأقتلنّهم قتل ثمود»، وفي رواية: «لَإن أنا أدركتهم لأقتلنّهم قتل عاد».

ولنحذرهم -يا عباد الله- لا بدّ لنا أن نعرف صفاتهم.

ومن صفاتهم: أنهم صغار السن ضعفاء العقول، قال رسول الله ﷺ: «يأتي في آخر الزمان قوم حُدَثاء الأسنان، سُفَهاء الأحلام، يقولون من خير قول البريّة، يَمرُقون من الإسلام كما يَمرُق السهم من الرّميّة، لا يُجاوز إيمانهم حناجرهم، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإنّ قتلهم أجرٌ لمن قَتَلَهم يوم القيامة».

فهم -يا عباد الله- إمّا صغار في السن يتلاعب بهم أهل الفتن، ويَجُرّونهم إلى هذا الإجرام، وإمّا ضعاف العقول ضعفت عقولهم بأمراض نفسيّة، أو بتعاطي المخدّرات، أو نحو ذلك.

وقد أدرك المُخَطِّطُون لهذا الإجرام في زماننا هذا الأمر، فأصبحوا يُرَكِّزُون على الشباب، فيتلاعبون بعواطفهم، ولذلك ينخدع بهم بعض الشباب، وينضمّون إليهم، ويُرَكِّزون على ضعاف العقول، كما هو مُدرَك مُشاهد.

ومن صفاتهم يا عباد الله: الجهل المركّب وسوء الفهم، فهم يجهلون ويظنّون أنهم يعلمون، ويفهمون النّصوص بأنفسهم، فَيُحَرِّفونها عن معانيها، فبدلاً من أن يهتدوا بقول الله وبقول رسول الله ﷺ إلى صراط الله المستقيم، تقذف بهم أفهامهم إلى طرق الجحيم، يقول النبي ﷺ: «إنّ بَعدي مِن أُمّتي قوم يقرأون القرآن لا يجاوز حلاقيمهم، يخرجون من الدّين كما يخرج السهم من الرّميّة، ثم لا يعودون فيه، هم شرّ الخلق والخليقة».

قال القرطبي: أي لا يفهمونه ولا يعلمون معناه.

وقال ابن عبد البر: تأوّلوا القرآن بآرائهم، فَضَلُّوا وأَضَلُّوا، فلم ينتفعوا به.

فمن جهلهم -يا عباد الله- وسوء فهمهم كانوا كما قال النبي ﷺ: «يقرأون القرآن، يَحسَبون أنّه لهم، وهو عليهم».

ومن صفاتهم التي ينبغي أن نتنبّه لها يا عباد الله: أنهم يُحسِنون القول ويُسيئون الفعل، فهم يُحسِنون القول ويُزَيِّنُون أمرهم بطيّب القول، ويُظهِرون باللسان العدل والدعوة إلى مكارم الخيرات وإلى إقامتها، ويفعلون في الواقع عكس ذلك، كما قال النبي ﷺ عنهم: «قومٌ يُحسِنون القيل ويُسيئون الفعل».

ومن صفاتهم يا عباد الله: أنهم يُحسنون الظن بأنفسهم ويُسيئون الظن بالأفاضل، بدءًا من أوّلهم الذي أساء الظن برسول الله ﷺ، إلى أوائل عِصاباتهم الذين أساءوا الظنّ بصحابة رسول الله ﷺ، إلى قرنهم اليوم الذين إذا ذُكر لهم أفاضل علماء الأمة -كابن باز، وابن عثيمين، والألباني، رحمهم الله عز وجل، وصالح الفوزان- سَبُّوهم، وحَقَّرُوهم، وفي الغالب كَفَّرُوهم، وذلك لأنّهم أقوام يُعجَبون بآرائهم، وإعجاب المَرء برأيه مُهلِكٌ له، يقول النبي ﷺ: «إنّ فيكم قومًا يعبدون ويَدْأَبُون، حتّى يُعجَب بهم الناس، وتُعجِبَهم نفوسهم، يمرقون من الدين مُروقَ السهم من الرّميّة».

وإذا تعالم الإنسان حتى رأى أنّه الأعلم وأنه الأفهم وأنه الأفقه، فلا ترجُ منه -يا عبد الله- خيرًا، قال النبي ﷺ: «يَظهَرُ الإسلام حتّى يَختلف التُّجّار في البحر، وحتّى تَخُوض الخيل في سبيل الله، ثم يظهر قوم يقرأون القرآن، يقولون: من أقرأ منّا؟ من أعلم منّا؟ من أفقه منّا؟ ثم قال ﷺ لأصحابه: «هل في أولئك من خير؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «أولئك منكم، من هذه الأمة، وأولئك هُم وَقود النار».

ومن صفاتهم يا عباد الله: أنّ ظاهرهم يبدو عليه الصلاح، ولكنّ قلوبهم قاسية خاوية، فَهُم إذا نظرتَ إليهم ظننتهم أهل عبادة وأهل صلاح، لكن إذا فتّشت وجدتَ ذلك تَعَمُّقًا على غير السنة، ووجدت قلوبهم لم تتأثّر بعبادتهم، قال النبي ﷺ: «يَخرُج قوم من أمّتي يقرأون القرآن، ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء، ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء، يقرأون القرآن، يحسبون أنّه لهم وهو عليهم، لا تُجاوِز صلاتُهم تراقيَهم، يَمرُقون من الإسلام كما يَمرُق السّهم من الرّميّة».

ومن صفاتهم يا عباد الله: أنهم أقوام يتعطّشون للدماء، ويلتذّذون بإراقتها، يُقتِّلون النفوس المعصومة بإيمانها، أو بأمانها من غير المسلمين، ويفعلون ما تَنفر منه الفطرة، ويتورّعون عن بعض الصغائر، فهم يحرقون الأحياء، ويطأونهم بالدّبّابات، ويجعلون الصِّغار يُقتِّلون الناس وهم يتضاحكون ويُكبِّرون، يقتل أحدهم المرأة ثم يلعب برأسها، وبعد ذلك يختلف أصحابه: هل يجوز له أن يمسّ شعرها، أو لا يجوز له أن يمسّ شعرها؟ فقبّحهم الله وقبّح عِلمَهم! ومن قرأ تاريخهم وعرف واقعهم أدرك هذا.

ومن صفاتهم يا عباد الله: أنهم أهل غَدر وخيانة، لا يوفون بالعهود، ومِن غَدرهم أنّهم يدخلون البلدان بالتأشيرات -والتأشيرة عهد- ثم يَغدِرون فيقتلون الناس بما يستطيعون، وينسبون ذلك إلى الإسلام، فيُسيئون إلى الإسلام وأهله.

والغَدر -يا عباد الله- ليس من الإسلام في شيء مهما كانت الأسباب، قال الله ﷻ: ﴿وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء:٣٤]، وقال النبي ﷺ: «لكلّ غادر لِواء يُنصَب بغدرته» وفي رواية: «لكل غادر لِواء يوم القيامة يُعرَف به».

إنّ هؤلاء الخوارج -يا عباد الله- لا خير فيهم، فينبغي علينا أن نعرف شرّهم، وأن نَحذَرهم، وأن نُحَذِّر منهم، وأن نُحَصِّن أبناءنا وأهلنا من شرّهم، وأن نُظهِر البراءة منهم ومن أفعالهم.

واعلموا -عباد الله- أنه لا يجوز للمسلم أن يسكت عنهم وأن يقول: الله أعلم بحالهم، فإنّ الواجب على العبد أن يُقاتِلَهم ولو بالبيان، وأن يُظهِر شرّهم، وأن يتبرّأ من أفعالهم، لا يجوز للمسلم أن يفرح بما يفعلونه من إجرام في أوروبا أو في غيرها من البلدان، بل الواجب على المسلم أن يُنكِر هذا، وأن يُبغِض هذا الفعل، وأن يُبغِض أهله.

فاتقوا الله عباد الله، والزموا سنة رسول الله ﷺ، لعلّكم تُفلِحون.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

[الخطبة الثانية: حماية الأبناء من الخوارج]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبيّ بعده، أما بعد فيا معاشر المؤمنين:

إنّ الله أوجب عليكم أمرًا عظيمًا، فقال سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ [التحريم:٦]، وقال النبي ﷺ: «كلّكم راعٍ، وكلّكم مسؤول عن رعيّته، فالإمام راعٍ ومسؤول عن رعيّته، والأب راعٍ وهو مسؤول عن رعيّته، والزوجة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيّتها»، وقال النبي ﷺ: «ما مِن عبد يسترعيه الله رعيّةً، يموت يوم يموت وهو غاشٌّ لرعيّته، إلا حرّم الله عليه الجنة».

واعلموا -عباد الله- أنّ لكم دَورًا عظيمًا في حماية أبنائكم وبناتكم من الوقوع في فخّ الخوارج والانسياق وراء إجرامهم، فيجب عليكم وقايتهم من هذا الفكر، ومنع الظُّلمة من القلب أيسر من إخراجها منه.

فاملأوا بيوتكم -يا عباد الله- بنور السنة، ولا تُسمِعوا أولادكم إلا كلام العلماء الأثبات الذين عُرِفوا بالتوحيد والسنة، وليس في كلامهم إلا الأمن والهداية والأمان لبني الإنسان، فإنّه لا نجاة من ظلمات الشبهات والشهوات إلا بهذا، قال النبي ﷺ: «فإنّ من يَعِش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنّتي، وسنّة الخلفاء الراشدين المهديّين، تمسّكوا بها، وعضّوا عليها بالنواجذ».

وربُّوا -عباد الله- أولادكم على التديّن الصحيح، على وسطيّة رسول الله ﷺ، فإنّ الحياة لا تطيب إلا بذلك، ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل:٩٦].

عَلِّموا -عباد الله- أولادكم القرآن بفهم صحيح، فإنّ النّجاة من الشرّ والفتن تكون بلزوم القرآن على حُسن فَهم، ولذا قال النبي ﷺ لحذيفة: «تعلّم القرآن واعمل به، تعلّم القرآن واعمل به، تعلّم القرآن واعمل به».

وراقبوا -عباد الله- تصرّفات أبنائكم، فإنْ رأيتم منهم تغيّرًا من حُبّ العزلة، والجلوس الطويل على جهاز الحاسب الآلي، وفي بُعد عن الأَعْيُن، أو رأيتم منهم كلامًا في العلماء الربّانيّين، وسبًّا لهم، واتّهامًا لهم، أو تَذَمُّرًا زائدًا من الواقع، فاحْذَروا وانتبهوا عباد الله، فقد يكون السبب وراء ذلك أنّ الابن أو الابنة واقع في فخّ أحد المُحترفين الذين يتصيّدون الأبناء والبنات، لإقناعهم بفكر الخوارج.

ألا فاتقوا الله عباد الله، وقوا أنفسكم وأهليكم نارًا، وافعلوا ما أوجب الله عليكم.

ثم اعلموا -رحمني الله وإياكم- أنّ الله ﷻ أمرنا بأمر شريف، بدأ فيه بنفسه، ثم ثنّى بملائكته فقال -عز من قائل-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ۝٥٦﴾ [الأحزاب:٥٦].

وقال ﷺ: «من صلّى عليّ صلاة واحدة صلّى الله عليه بها عشر صلوات، ومُحيت عنه عشر خطيئات».

فاللهمّ صل على محمد وعلى آل محمد، كما صلّيت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وسلّم تسليمًا كثيرًا، وارض اللهم عن الصحابة أجمعين، وارض اللهم عن الصحابة أجمعين، وارض اللهم عن الصحابة أجمعين.

اللهمّ اغفر لنا أجمعين، اللهمّ اغفر لنا ولوالدينا أجمعين، اللهمّ اغفر لنا ولوالدينا أجمعين.

اللهمّ أصلح لنا شأننا كلّه، اللهمّ أصلح لنا شأننا كلّه، اللهمّ أصلح لنا شأننا كلّه.

ربّنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربّنا لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منّا يا رب العالمين.

اللهمّ علّمنا التوحيد والسنّة وثبّتنا عليهما يا رب العالمين، اللهمّ اهد ضالّ المسلمين، اللهمّ اهد ضالّ المسلمين، اللهمّ اهد ضالّ المسلمين.

اللهمّ إنا نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى، كما جمعتنا في هذا المسجد المبارك، في هذا الفرض المبارك، أن تجمعنا ووالدينا وأهلنا ومن نحبّ في الفردوس الأعلى أجمعين، اللهمّ لا تَحرِم منّا أحدًا، اللهمّ لا تَحرِم منّا أحدًا، اللهمّ لا تَحرِم منّا أحدًا.

اللهمّ إنّا عباد من عبادك، قد اجتمعنا في بيت من بيوتك، وأنت أعلم بنا منّا، اللهمّ فمن علمته منّا على خير اللهمّ فثبّته عليه وزده من الخير يا رب العالمين، ومن علمته منّا على معصية اللهمّ فتب عليه توبة ترضى بها عنه يا رب العالمين.

اللهمّ من علمته منّا مدينًا فاقض عنه دينه يا رب العالمين، اللهمّ من علمته منّا مهمومًا مغمومًا اللهمّ فاكشف همّه يا رب العالمين، اللهمّ من علمته بعيدًا عن أهله اللهمّ فقرّبه منهم وقرّبهم منه يا رب العالمين.

اللهمّ اجمع كلمتنا على الهدى والسنة يا رب العالمين، اللهمّ إنّا نعوذ بك من البدع وأهلها، اللهمّ إنا نعوذ بك من البدع وأهلها، اللهمّ إنا نعوذ بك من البدع وأهلها.

ربّنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النّار.

والله تعالى أعلم، وصلّى الله على نبيّنا وسلّم.